مؤسستان ثقافيتان

للفكر في لبنان

لا أكون مجاملاً أو متجنياً على الحقيقة إذا قلتُ إن النهضات الثقافية تجد في لبنان القوّة والنشاط كما يجدها العليلُ حين يعطاف في ربوعه ، فيعود أوفر ما يكون نشاطاً وقوّة ، وأظهر ما يكون شباباً وفتوّة .

فلقد كان لبنان — ولا يزال — موضع ازدهار الثقافة . وإنه لتقوم الآن في ظلاله حركةٌ مباركةٌ بعيدةٌ عن زُلفى الجماهير واقتناص الظروف . تنهض هذه الحركة في مكمن ، وتعمل في هدوء المتدين وإيمانه دون جلبةٍ أو ضوضاء . لا تفرّق في عملها بين أثر وأثر ، ولا تنظر الى هذه الآثار من خلال أسماء أصحابها ، ولذلك كان لزاماً عليّ أن أشير هنا الى هذه الحركة المباركة ، وأن أسجّل لها فضلها ، وأن أشير — بصفة خاصة الى الظاهرة الطيبة التي تلازم هذه الحركة ، وليس لها مع الأسف وجود لدينا — وهي الروح التعاونية بين رجالات الأدب والفكر هناك ، فهم يكوّنون جماعاتٍ تختلف أسماءً ولكنها في الحقيقة موحّدة الغاية تكاد تكون موحّدة الشخصيات ، تنظر الى قيم الأشياء لا إلى أسماء واضعيها والرغبة في استغلال هذه الأسماء .

وقد ظهرت بهذه الروح التعاونية الطيبة صحفٌ ، في مقدّمتها مجلة (الأديب) تعمل مضحية في سبيل هدفها بكل ما أوتيت من قوّة لتؤدّي رسالتها . ولعلّ التشجيع الذي لقيته والشعور الذي بدا نحوها منذ أشهر قلائل يعدُّ خير تقدير لتضحياتها .

* * *

وآخر ما ظهر لهذه الحركة — وهو ما أردنا الإشارة إليه — هاتان المؤسستان الفكريتان القائمتان على دعائم قوية من عقول متكرةٍ وأذهانٍ واعيةٍ وأبصار متفتحةٍ وقلوبٍ نابضة بالحياة عامرةٍ بالإيمان في مستقبل الثقافة العربية .

الأولى (دار العلم للملايين) يرأسها الأستاذ منير البعلبكي ويديرها الأستاذ بهيج عثمان وتشرف عليها لجنة من العلميين وقد اجتمع لها رصيدٌ وافرٌ من قادة الفكر هناك أمثال الأساتذة رئيف خوري، وعمر فرّوخ، ومارون عبّود، وسهيل إدريس، ونقولا فياض، وغيرهم وكلٌّ منهم غنيٌّ عن التعريف. وقد استطاعت هذه الدار الفتية خلال فترة قصيرة من الزمن أن تثبت وجودها وحيويتها وتستأثر بإعجاب المقدّرين لجهودها، وأن تخرج لقرّائها في العالم العربي ألواناً متعددة من الثقافة في النواحي السيكولوجية والجنسية والسياسية والأدبية، وأن تضع رسائل قيمة عن أعلام الحرية لتكون دروساً لأبناء الشرق في الوقت الذي تتفتح فيه الأبصار لنور الحرية وترهف الأسماع لندائها في كل مكان.

وتُعنى هذه المؤسسة بما تقدّمه من ألوان الثقافات بحيث تزوّد القارئ العربي بالعلم المبسط عامة على إنشاء شخصيته إنشاء جديداً يقوم على المعرفة والتفكير والوعي القومي.

ولم يقف جهودها عند إبراز مؤلفات أو ترجمات أبنـاء القطر الشقيق بل تعدّاه الى غيره من الأقطار العربية، وكان لمصر نصيبٌ من هذه الرعاية.

* * *

أما المؤسسة الثانية فهي ذلك المشروع الذي دعا إليه الأديب المفكر اللبناني الأستاذ ميشال أسمر فلقي من التشجيع ما حمله على مواصلة السعي في سبيل تحقيق الفكرة التي تقوم عليها هذه المؤسسة (الندوة اللبنانية) التي تساعد الراغبين في مواصلة ثقافتهم العامة في جوّ من العلم الصحيح وإخراجهم من الجمود العقلي على أيدي أصحاب الاختصاص وقادة الرأي في لبنان، فإنّ هناك لكل راغب متعةٍ ما يهيّئه الحصول على بغيتـه من أندية رياضية ودُور ترفيه إلاّ الندوة التي تثقّف العقل تثقيفاً صحيحاً فقد حرم الراغبون فيهـا من وجودها حتى استطاع الأستاذ ميشال أسمر تأسيسها، واجتمع له فيها من خيرة رجال الفكر والأدب والفنّ ما تفخر بهم العروبة جمعاء قبل أن يفخر بهم لبنان. ثم أخرج لهذه الندوة نشراتٍ تضمّ كلٌّ منها بعض ما أُلقي في الندوة من محاضرات. وقد ضمت النشرة الأولى ثلاثاً من أنفس المحاضرات لثلاثة من ألمع المفكرين: الأول الأستاذ كمال جنبلاط وزير الاقتصاد الوطني والزراعة والشؤون الاجتماعية عن رسالته كنائب. والثاني الأستاذ الجاحظ الكبير

فؤاد إفرام البستاني عن لبنان في ما قبل التاريخ . والثالث الشاعر الكبير الأستاذ أمين نخلة عن الحركة الفنية في لبنان في العقد الأول من القرن العشرين .

وستتابع الندوة نشر محاضراتها التي أعدت لها من رجال الفكر ما يضمن تحقيق الغاية الكريمة التي أسست من أجلها .

***

وما دمت بصدد تسجيل هذه الحركات الثقافية ، وما دام قد ذكر اسم الأستاذ فؤاد إفرام البستاني ، وفضله على الأدب العربي — قديمه وحديثه — غير منكور ، فانه لجدير هنا أن أسجل شيئاً آلمني لا استطيع كتمانه وتقرير الحق فيه لأن الحق فوق كل اعتبار .

فلقد وقع لي أخيراً أن اطلعت على جزء من سلسلة « الروائع » التي أخرجها الأستاذ فؤاد البستاني . وهذا الجزء خاص بالكلام على ابن بطوطة ورحلته . وقرأت المقدمة النفيسة التي كتبها عن هذا الرحالة وعن قيمة رحلته وعناية المستشرقين بها ، وذلك التبسيط والتلخيص الوافي الذي قام به الأستاذ البستاني لهذه الرحلة ، فعجبت أن أجد شيئاً يعدم شعوري ، ذلك أن اثنين من كبار رجال وزارة المعارف في مصر — وقد انتقل أحدهما الى جوار ربه — قد وجدا من مقدمة البستاني عوناً لهما عند ما كلفا تهذيب هذه الرحلة فنقلاها بشيء من التحوير قليل في بعض الألفاظ ، على أنهما لم يستطيعا أن يسيرا في طريق خاصة فسايرا البستاني في طريقة العرض مما يدل على أنهما قد أخذا عنه دون أن يشيرا الى هذا الرجل بكلمة أو يشيرا الى الطريقة التي اتبعها في تبسيطه لهذه الرحلة على أقل تقدير ليكون إنصافاً لهذا الرجل على عمله وهو عمل ليس بالهين . فأردت أن اتخذ من هذه المناسبة وسيلة لتقرير حق لا يقرُّ لنا في السكوت عليه ضمير حي ، ولا يمنعنا من اثباته واذاعته موت أحدهما رحمه الله وأمد في أجل زميله فلكلٍّ منهما فضله ، لعلَّ وزارة المعارف ترى الاشارة الى عمل البستاني وفضله عند إعادة طبع تهذيب رحلة ابن بطوطة فيؤدَّى للحقيقة والتاريخ واجبهما وهو واجب جدير بالرعاية .

حسن كامل الصيرفي